الزميل المستشرق الجري عبد الكريم جرمانوس في ذمة الله

لعيسى الناعوري

لم أعلم بوفاة الصديق جرمانوس الا بعد أكثر من عشرين يوما من رحيله ، وقد قرأتُ النبأ في جريدة (البعث) الدمشقيّة الصادرة في ١٩٧٩/١١/٣٠م ، وحزنتُ للنبأ ، لانني فقدتُ بالحاج عبد الكريم جرمانوس صديقا عظيما حقّاً ، وانسانا طيّب القلب ، عالِماً ، مُحبًّا لاصدقائه ومخلصا لهم .

أول معرفتي للمستشرق الكبير كانت عن طريق كتاباته في بعض المجلات العلمية والادبية العربية ؛ ثم كَتَبَ هو الـيّ أولاً ، فكان من بعد ذلك اتصال مستمرّ بالمراسلة . وسَعَى لاجل زيارتي للمجر ؛ ونجح مسعاه، فزرتُ المجر في كانون الاول عام ١٩٦٤م ، وهناك سعدت بلقائه ، وأَنِسْتُ بمجالسته وتبادُل الحديث والفكر معه في منزله ؛ وتَفَضَّل فرافقني الى اتحاد الكتاب المجريين ، واتحاد الصحفيين ، ونادي القلم ؛ وهناك قَدَّمني الى الحضور تقديما لطيفا كريما ، وقام بدور الوسيط المترجِم بيني وبينهم . وقدَّمني كذلك الى الجمهور في احد الاندية الثقافية في بودابشت ، حيث القيتُ محاضرة باللغة الانكليزية حول (الحركة الادبية في المملكة الاردنية الهاشمية) . واكرمني كذلك بدعوتي الى العشاء في منزله هو وقرينته الحاجة عائشة .

ولـم ينقطع تبادُلُ الرسائل بيننـا بعد ذلك . وآخرُ رسالة تلقيتها منه تحمل تاريـخ ٢٨/تموز/١٩٧٩م. وهذه صورة عنهـا .

الى الاخ المحبوب العلامة الكبير نجيب الناعوري حفظه الله

عزيزي، بعد تحياتي القلبية اجد له انني تسلمت مع الشكر العظيم
الكتيب المعنون "بمصطلحات التجارة والاقتصاد والمصارف"
من اثر علماء المجمع العلمي في الاردن. واشكركم من صميم فؤادي
لهذه الهدية الثمينة - ان الثقافة العربية احيتنا انسانية في
القرون الوسطى، وهكذا تخدم روح الجنس البشري اليوم باعمالها
العلمية الادبية. ونحن في الغرب مضطرون لعرفان الجميل والشكران
للاجتهاد الثقافي الذي تبديه مجامع اللغة العربية لنا اثناء هذه الايام
الحالكة - ارجوه ان تقدم شكراتي الخالصة الى رئيس المجمع وكل الاعضاء
الكرام، وتقبلوا مع الاحترام والمودة مخلصكم الحاج عبد الكريم جرمانوس

١٩٧٩
تموز ٢٨

١٩٧٩/٨/٢

وقـد رَدَدْتُ عليها بتاريخ ٢/آب/١٩٧٩م ؛ فكاننا بالرسالتين تبادَلْنا تحيـةَ الوداع الاخير .

كـان المرحوم جرمانوس عضوًا لمجامـع دمشق وبغداد والقاهرة ، الى جانب عضوية المجمـع العلمي المجريّ،وعدد من المجامع العلميـة العالمية الاخرى . وحين علـم باننا في الاردن ايضا قد انشانا مجمعـا للّغـة العربية ، مُسَرَّ لذلك كثيرا ؛ وحينَ مُنِحَهُ المجمـع عضوية شرف فيه ، أعتبَر ذلك مَجْدًا كبيرا لـه يختتم بـه عمره المديد ؛ واهتمّـت بذلك صحف المجـر ومجلّاتها ومحافِلُها العلمية والادبيـة .

والعجيب في جرمانوس انـه كان ، رغم تمادي العمر ، كثيرَ الحيوية والنشاط : يقـرا ، ويكتب،ويؤلف ، ويترجم ، ويسافـر ، ويراسل أصدقاءه العديدين بنشاط يعجز عنـه الشبان . واذكر انني

حين لقيته في بودابشت سنة ١٩٦٤ كان قد بلـغ الحادية والثمانين من عمره ، وكان بُدينُ الجسم ؛ ومع ذلك فقـد كنتُ ، حين ارافقه في طريق ، أُضطَرُّ الى الجَرْي لكـي استطيع مسايرةَ مشيته الشبابيّة السريعة . وكان قد أُحيلَ على التقاعُد قبـل سنة واحدة فقط من معهـد الدراسات الشرقية في جامعة بودابشت . فقال لـي ساخرًا وهو يعلّق على ذلك : حتى السنة الماضية كنـت « شابا صالحا للعمـل » ... والآن صرت في نظر الناس (هَرِمـًا) لا أصلح لشيء ...

وبعـد عشر سنوات من ذلك اللقاء ، في عـام ١٩٧٤ ، كـان جرمانوس قد بلـغ التسعين من عمره ؛ فَكَرَّمَـه أصدقاؤه وتلاميذُه من علماءِ بلـده وأدبائها بمجموعةٍ من البحوث والدراسات ، كتبوها حـول العالَـم الاسلامي ، وجمعوها في كتاب عنوانه (الشرق الاسلامي : بحوث لتكريم جوليوس جرمانوس) . و (جوليوس) هو اسمه المَجَـريّ الاصلي ، وقد استبدل بـه بعد اسلامه اسم الحاج عبـد الكريـم جرمانوس . وكذلك زوجتـه السيدة عائشة ، استبدلت باسمها المجريّ النصراني اسمها الاسلامي (الحاجة عائشـة) ، وحَجَّت مع زوجهـا الى الديـار المقدسة، وكرَّسَت حياتَها معه لخدمـة الاسلام والعروبة والثقافة العربية الاسلاميـة .

ولـد جوليوس جرمانوس في بودابشت سنة ١٨٨٤م ، ودرس في جامعات بودابشت واسطنبول ، وفيينّـا ، وليبتزيغ . وفي سنة ١٩٠٧ نـال درجة الدكتوراة بدرجة شرف من جامعـة بودابشت في اللغـة التركية وآدابها، وفي اللغـة العربية وآدابها ، وفي التاريخ القديم . وكان من اساتذته في اللغـات الشرقيّة المستشرق المَجَـريّ الشهير إينياس غولـد تزيهـر .

وفي سنة ١٩١٢ عُـيّن مُدَرِّسا في اكاديمية التجـارة الشرقية ، ثـم اصبح مدرّسا في كلية الاقتصاد منـذ سنة ١٩٢١م . فلما كان عـام ١٩٢٩ دعاه شاعر الهنـد الاعظم رابندرانات طاغور، فقام بانشاء قسـم

الدراسات الاسلامية في جامعة البنغال ، وظلّ يدرّس فيه الى سنة ١٩٣٣ . وفي تلك الفترة شعر بميل الى الاسلام ، فاعتنقه عقيدة له بدلا من عقيدته المسيحية . ثم سافر الى مصر سنة ١٩٣٤ والتحق بالازهر لاجل التعمّق في دراسة اللغة العربية والدين الاسلامي والتاريخ الاسلامي . ومن هناك ذهب الى الديار المقدسة ، حيث ادّى فريضة الحج ، وشاء ان يتعرف بالاسلام في منابعه الاولى . ومن نتيجة ذلك الحج اصدر كتابه (اللّه اكبر) الذي طُبِعَ سنة ١٩٣٦ بالمجريّة ، ثم لم يلبث ان تُرجِم الى الالمانية والايطالية ، واعيد طبعه بعد ذلك مرارا .

وفي سنة ١٩٤١ اختير جرمانوس لرئاسة المعهد الشرقي في كلية الاقتصاد في جامعة بودابشت . ثم دعته بعد ثلاث سنوات كلية الفنون لادارة قسم اللغة العربية فيها . وحتى ذلك الحين كان قد كَتَبَ العديد من البحوث والدراسات في التاريخ العربي والاسلامي وفي الثقافة العربية . وفي سنة ١٩٤٨ عُيِّن استاذا للعربية والدراسات الاسلامية في جامعة اوتفوش لورانت ، في بودابشت ، وظلّ في منصبه هذا الى ان احيل على التقاعد سنة ١٩٦٤م.

وتقديرًا لفضل جرمانوس وعِلمه ، منحه الكثير من المجامع اللغوية والاكاديميات العلمية عضوية المراسلة او عضوية الشرف ، كما دعاه العديد من الجامعات الى التدريس او المحاضرة : ففي سنة ١٩٥٧ عُيِّن عضوا مراسِلا في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وفي سنة ١٩٦٢ عُيِّن عضوا مراسلا في المجمع العلمي العراقي ، وسنة ١٩٦٦م في مجمع اللغة العربية في دمشق ، وسنة ١٩٧٨م عُيِّن عضوَ شرف في مجمع اللغة العربية الاردني ، وعُيِّن عضو شرف في اتحاد الكتّاب العرب في القاهرة ، وبغداد ، ودمشق . وكان قد عُيِّن عضوا في اكاديمية البحر المتوسط في ايطاليا سنة ١٩٥٤ ، وفي اكاديمية ليوناردو دافنشي ، في روما ، سنة ١٩٦٩ . وكان استاذا زائرا في العديد

من الجامعات ، ومنها جامعات : الاسكندرية ، والقاهرة ، ودمشق ، واكره ، وعُلِيْكَرْه ، ولكنو ، وحيدر اباد ، وذلهي ، والرباط ، وفاس .

واختير عضوا في البرلمان المجري من عام ١٩٥٨ الى عام ١٩٦٦ ، فكان العضو المسلم الوحيد فيه .

واما اعماله العلمية فاكثر من أن تحصى ؛ وهي ما بين مؤلفات وبحوث ودراسات ؛ وقد كَتَبَ هذه الكتب والبحوث والدراسات باللغات : المجرية ، والتركية ، والعربية ، والانكليزية ، والالمانية ، والايطالية ، والهندوستانية ، تعريفا بالثقافة العربية الاسلامية والثقافات الشرقية .

وعلى الرغم من تقدُّمه في السن ، فقد ظلَّ الى آخر حياته يكتب ويطالع ويكاتب اصدقاءه في مختلف البلدان .

واذا كان من غير اليسير سرد ثَبْت بجميع مؤلفاته وبحوثه بمختلف اللغات ، فسأقتصر ههنا على ذكر ما كتبه باللغة العربية وحدها ، وهو :

١ ــ بعض الكلمات عن الادب العربي الحديث في المغرب الاقصى ــ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ــ ١٩٦٩م.

٢ ــ حماية فلسفة التشريع الاسلامي ــ الاصالة / الجزائر ١٩٧٤م.

٣ ــ الاسلام كدين عالمي ــ ١٩٧١م.

٤ ــ دور الاسلام في تاريخ الانسانية ــ ١٩٧٢م.

٥ ــ نهضة الادب العربي ــ ١٩٧٥م.

٦ ــ النظرة الاسلامية الى الحياة ــ مجلة رابطة العالم الاسلامي ــ مكة المكرمة .

٧ ــ الاسس اللغوية لوحدة الناطقين بالضاد ــ مجلة قافلة الزيت / الظهران ١٩٧٥م.

٨ ــ ذكريات عن الحــج ــ ١٩٦٩م.

٩ ــ دور الاسلام في تاريخ الانسانية / مجلــة الاديب / بيروت ١٩٧٤م.

١٠ــ عباس محمود العقاد ــ الاصالة / الجزائــر ١٩٧٧م.

وعــدد من الاعمال العلمية الاخرى ، ظهرت في مجلــة المقتطف وغيرهــا في مصر .

ولقــد عكف جرمانوس في الاعوام الاخيرة على كتابــة سيرتــه وجولاته في البــلاد العربية والاسلامية . وذكر لــي في بعض رسائله الاخيرة ان هذا الكتاب سيتجاوز ٦٠٠ صفحة . وكان قبل ذلك قد اصــدر كتابا باللغة المجرية عنوانــه : "Az Arab Irodalom Tortenete تَحَدَّث فيه عمــا رآه في البلاد العربية، وعَمَّن عرفهم من اعــلام الادب والفكر ، وعن الحياة الثقافية في هذه البــلاد . فجاء هذا الكتاب تاريخا حافلا للفترة التي عاشها جرمانوس مناضلا بقلمه ولسانه في سبيــل الثقافة العربية والاسلامية ، وفي سبيل الاســلام الذي كان قد اعتنقه منــذ شبابه الباكر عن يقين وايمان . وكــان من دواعي اعتزازي ان يتحدّث عني المؤلــف في كتابه ، وينشر بين صور الاعلام ورسائلهم صورة لــي وجزءا من احدى رسائلي اليــه .

والآن وقد مضى الشيخ والعالــم الجليل الحاج عبد الكريــم جرمانوس ، فان مجمع اللغــة العربية الاردني ليبعث الى روحــه الطاهرة باطيب التحيــة ، معربا عن الاسف العميق لفقــده .

رحمــة اللــه عليــه .